

فساد المجتمع الانساني

عن الأخطاط لنوردو والتطور الاجتماعي لتيلور

كلما اشتبكت انظمت الجمعية البشرية بعدت عن بساطة الفطرة . فاذا وجدت عقلية فطرية في وسط راق دون أن تتأثر بالتطورات المستجدة فلا بد لها من أن تتسبب في حدوث اضطرابات تظهر بمظهر المداوة للنظام السائد ويظل دأب الافراد المتأخرين متجها نحو الاجرام الى أن تتسع مداركهم ويستطيعوا استساغة الوسط ، أوحى ينشأ بعدهم جيل يتفهم ماهية المحيط اكثر منهم . وليس في الامكان صدهجمات هذه العقليات المتأخرة بحزم لان الوسائل التي تساعد على النجاح ليس في مقدور المدنية استعمالها . لان وسائل الردع الحديثة اوجدت لوسط راق حساس وأما تلك العقليات فلا تتأثر من زجر قوانين المهدبة لانها لا تفهم الا لغة قوانين الكنيسة في عهد نظام التفتيش أو ما هو اقل . كذلك لا يمكن لامة متمدينة أن تزج بين قوانينها الانسانية مواد من قوانين المتوحشين رغبة في تطبيقها على طبقة متأخرة لان المساواة والعدالة تنفيان الكيل للناس بكيلين . وكذلك تغشيان ان يتسلح البعض بهذه الاسلحة المنحطة للانتقام من خصوم لهم . ولهذا أصبحت مشكلة محاولة ايقاف اذى هذه الجماعة من المسائل العويصة التي تغضى عنها وتحميلها اتباعا للنظرية القائلة بتحمل ضرر البعض بدلا من الاضرار بالكثر . فالفوضوية مثلا ليست أكثر من لانظام يحوى مجهودات افراد غير مسئولين يعيشون بعقلية لا تختلف كثيرا من عقلية شراذم وحوش الانسانية الذين وجدوا في فجر التاريخ . فهي تجهل تماما معنى وفوائد نظام الجمعية البشرية الرقى الذي يحوى سيئاته القليلة — اذا قورنت بسيئات الماضي — جنبا الى جنب مع حسناته الكثيرة : فهم يضمون نصب اعينهم السيئات ويتغاضون عن الحسنات . ثم ينظرون الى النظام الحال بمنظار أقم فيندفعون الى الانتقام والتشفى رغبة في قلب ما هو موجود رأسا على عقب وجعله مطابقا لنظريات تملأ خيالها عقولهم

وبما ان عقليات الامم تتفاوت فلذلك نجد انه يوجد بين هذه الجماعة وبين الطبقات الهادئة طبقة وسطي هي طبقة العامة التي يستفزاها الكلام المبرقش فتثور ثائرتها مطالبة بحق حكم الدولة بحجة ان افرادها هم المكونون للاغلبية الساحقة فاذا ما تساموا زمام الدولة خطوا من المستوى الاخلاقى ودرجة الثقافة الى ما تصل اليه عقولهم. ولذلك لا يلبثون حتى يسقط من يدهم ويتركون العنان لمن هم اقدر منهم، وهنا لا يكون للطبقة الوسطى وهي اكفأ الطبقات واكثرها تمسكا بالاخلاق واشدها ميلا للثقافة فرصة للقبض على ناصية الحال بل تتعداهم الى الطبقة العالية وانك لا تحتاج الى القاء اكثر من نظرة واحدة على نواب الامم كافة حتى يتضح لك انهم لا اكثر من قيم مالية يزداد نفوذها وينحط بنسبة ما لكل منهم من الثروة. فالمجالس النيابية والحالة هذه لا اكثر من « بورصات » للمالين يتآمرون فيها على الاستفادة ماديا من نفوذهم غير مباليين بالصالح العام، اللهم الا بقدر ما يعوذك عليهم بالرج. وهؤلاء يضيقون الخناق على الصالحين للعمل ويبذلون جهدا عظيما لبعادهم عن التأثير في مجريات الاحوال. ولذلك يملأونهم بأنفسهم المراكز العالية في الحكومة ويولون من يلوذ بهم وهم لا يختلفون عنهم كثيرا ان لم يكونوا اكثر منهم جسما في المراكز الاكثر أهمية فكيف ينتظر والحالة هذه من دولة وزراؤها ماليون او محركون في الدوائر المالية ان يبحثوا غير مفرضين فيما هو غير صالح للمخلوقات الوضيعة التي تتنازع على البقاء بين قاذورات المزابل التي نسميها خطأ منازل

وليس الانحطاط الاجتماعى نتيجة لوجود عقليات قديمة عاجزة عن تفهم الحالة الراهنة فقط، بل هو ناتج ايضا عن اهمال الرجال المسئولين شأن الطبقات الفقيرة السيئة الحال. وبذلك نجد التعاليم المتطرفة بينهم مباءة صالحة فيندفعون بين الضيق والجوع الى عمل ما يظنونه يضطر المترفهين الى النزول لمستواهم ومشاطرتهم المصائب التي تكل ظهورهم عن تحملها

ومع اننا مدينون للفلاح والصانع بكل شيء تقريبا فاننا لا نعيره اذى التفات جهلنا بانه ليس من صالحنا ارهاقه بالعمل ومنعه من حقه في نعيم الحياه والحقيقة اننا نرتكب بعض اخطاء دون ان نقصد ارتكابها ولكن نجب ان لا ننكر بان من الاخطاء ما نرتكب بقصد سيء. اضيف الى ما سبق

اننا لا نحاول البحث عما ارتكبه غفوا من الأخطاء لاجل تلافيه . فيجب على الامة الراغبة في التقدم ان تنتبه الى وجوب ازالة هذه الاخطاء قدر الامكان ومادام وجود امة حسنة الصحة يتوقف على وجود ام مالهكة لصحتها ، وجب علينا انشاء وسط صحي واقامة الام فيه . كذلك يجب صقل عقل الامهات لينتجن لنا نسلا مصقول الذهن ولا يكلفنا التخفيف عن غلوائنا قليلا في بحس العامل نصيبه من الارباح التي نستأثر بها لا نفسنا دونه الاشياء جزئيا نمنع بالتنازل عنه تهديده ايانا بالثورة كل وقت وآن . فاذا ما تمكنا من جعله ينظر الى الحياة بمنظار غير اقم حبنا العيش له واصبح يرضى ببذل نفسه جزافا . وان من العبث ان نطلب من جائع ان يتمسك بقوانين الاخلاق وبالمبادئ الوطنية فيجب اذن قبل ان نحارب العقول المنحطة المندفعة للتخريب ان نشل يدها وذلك بمحاولة تنظيم الطبقات الدنيا تنظيما اجتماعيا راقيا بقدر الامكان وعندئذ فقط يقيس لنا حصر الخطر في منطقة صغيرة

ولكن انى للرجال المسيطرين تفهم هذه الحقائق ثم العمل على ازالة اسباب القلق الاجتماعى وهم يتوارثون الكراسى الحكومية كما يتوارثون نفوذ آبائهم واقاربهم حتى أصبح بعضهم لا أكثر من رواسب منحطة تنقلب منذ نشأتها فى احضان الترف واللذة حيث خبت فيهم بقية من ذكاء هى من مميزات الجنس البشرى ! فهذه الجماعة قد انشأت من أنفسها وسطا سافلا ليس يختلف كثيرا عن احط دركات الطبقات الدنيا من جهة الاخلاق والذكاء واذا كان فى حيز الامكان ترقية الدرجات الدنيا ولو الى حد ما ، فليس فى الامكان التأثير على طبقة المخنثين التى استسلمت للانحلال النفسى وولوجى والاخلاقى وكذلك ليس هناك أمل فى ذريتها الضعيفة السافلة

فالانحطاط ليس خاصا بالطبقات الدنيا وحدها حيث تنشأ عقليات بدائية بل هو أيضا من خاصيات بعض الطبقات العالية التى أخذت فى الفساد وتحولت عن البشرية وانحط مستواها ، ويصح أن يقال أنها اشد خطرا على المجتمع من الجماعة الاولى ، فان لها من النفوذ والسطوة ما يهدد كيان المجتمع بين آن و آخر بالجرائم والوراثية هى كل شئ فى هذه الحالة لأن تأثير الوسط يكاد ينعدم اذ تحولت العقلية العامة فى طبقة مخصوصة الى اتجاه مخصوص عمر عنايت